صوت الحجاز ١٣٥٠ - ١٣٦٠
البلاد السعودية ١٣٦٥/٢ - ١٣٧٨/٧
البلاد ١٣٧٨/٧
البلاد ١٣٨٣
البلاد ALBILAD ١٤٣٤

هذه المواد نشرت بتاريخ ٢٥ / ٣ / ١٣٨٥هـ الموافق ٢٤ / ٧ / ١٩٦٥م

الليل في جدة .. (٢)

قصتنا مع طريق المدينة هي قصة أم موسى

كيف تعالج القرية مشكلتها مع الليل

ريبورتاج صحفي كتبه علي محمد العمير

وهكذا يقضون بعضا من ليل في مناطق مختلفة وقهاوى متناثرة هنا وهناك

اوهام وغرور

عندما كنت في سطح الحرمين.. وكان المصور يلتقط بعض الصور.. كنت انا امسح بنظري مدينة جدة المتلألئة بالانوار كحبات من الالماس في نحر عانيه! واعجبني هذا التشبيه الذي اسعفني خيالي الواهن. وسرحت بذهني بعيداً.. اتصور انني شاعر وانني اجيد التشبيه والغزل على طريقة الآباء والاجداد! بل لقد بلغ بي الغرور وذهبت بي الاوهام كل مذهب فتصورت ابن الرومي نفسه لا يمكن - لو بعث حيا - ان يحصل على هذا التشبيه الفريد النادر! (جدة بأنوراها المتلألئة.. كحبات من الالماس في نحو غانية)! انها على كل حال خيالات واوهام واعراض غرور

XXX

أبو يمن:

وفي منطقة (القوزين) وما اليها ومن اليه.. يتمركز اخواننا اليمنيون هناك القضاء الليل بطريقتهم الخاصة.

بعضهم يرقص.. وبعضهم يغني.. وبعضهم يتحايل على ما في جيبه من قروش ليشرب (تعميرة) وبراد ابو اربعة.

ثم ينام على اقرب كرسي في القهوة وفي ادنى مخط واحيانا يفترض الارض.. ويلتحف السماء!!

XXX

وفي طريقنا الى كازينو كيلو (١٠) في طريق مكة.. كان المصور يبحث في راديو السيارة عن اغنية.. انه هو ايضا بالرغم من اصبت بها وانا انظر الى جدة في الليل من مكان عال!

XXX

اما القهاوي في البلد.. فيفضلها اولئك الذين لا يتسنى لهم ركوب سيارة للذهاب هنا وهناك. وبعض الذين تقدمت بهم السن من الشعبيين "البلدي" الصميم! فهؤلاء يفضلون المركاز في اقرب قهوة الى منازلهم.. او في "الروشان" يلعبون (الضمنة) ويزجون وقتا من ليل!!

اما انا - مثلا - فقد انشغاله معي في عملية التصوير اياهايريد ان يقضي الليل بطريقته الخاصة..

هناك في (الكازينو) كان عشرات من الناس متناثرين. هنا وهناغك في حديقة الكازينو وقد اغراهم الجو.. واغرقهم بهرجة انوار النيون الملونة..

فارتاحوا كثيرا

وهات يا عشا

يا دجاج

يا كباب

واخيرا.. يا تعميرة!!

اما في ريق المدينة.. فهناك العشرات من القهاوي منتشرة على جانبي الخط لتستقبل الناس على مختلف مستوياتهم رزفات ووحدانا. الانسان في جدة (يطفش) من البيت.

يعمل ماذا؟

والدنيا حر.

والرطوبة مقرفة.

ثم ان الناس هنا ابناء صحراء.. لا تلذ لهم الحياة كثيرا داخل جدران اربعة. ومنطقة طريق المدينة.. هي نفسها (الصحراء) المتأصلة في اعماقهم.

XXX

أم موسى الكلابية.. اعرابية كانت تعيش في الصحراء ترعى الابل او الغنم مع اهلها.. الفت حياة الصحراء.. وانطلاقتها.. و.. تزوجها رجل من اهل (حجر اليمامة) وحجر اليمامة يومؤذ حاضرة بهاقصور وحيطان وغرف وما الى ذلك..

فلم تلبث ان سئمت حياتها الجديدة.. المتحضرة.. لان الصحراء متأصلة الجذور في نفسها فقالت:

قد كنت اكره حجرا ان الم بها

وان اعيش بارض ذات حيطان

لا حبذا الغرف الاعلى وساكنه

وما يضمن من مال وعبدان

ولا مخافة ربي ان يعاقبني

لقد دعوت على الشيخ ابن حيان

والشيخ ابن حيان هذا.. هو اذي عقد لها على زوجها!!

XXX

صدقوني.. ان قصتنا مع طريق المدينة.. هي قصة الاعرابية نفسها!!

وهذا في السر في حب الناس للقهاوي على طريق المدينة بالاضافة الى الحر والرطوبة..

وغثيان السجاير!

والا فأي شيء في طريق المدينة؟

XXX

قضيت ليلتي هذه اكتب عن الليل

وامري لله..

هل هذا.. هو الليل في جدة؟!

علامة استفهام متروكة للقارئين

اما انا فاستودعكم الله..

اريد ان انام.. ان اعالج مشكلتي مع هذه البقية من الليل تماما كما كنت افعل في قريتي.

فالى لقاء.

جنود الليل

اظل سهران وعيني تحرس
منازل الحي ولا ابتئس
ان سمع اللص صفيري هرولا
وراح يعدو كالجبان وجلا

الأطفال يلهون في الليل